المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص1018-1030

علاقة جماعة المنتخبين بتيارات الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1927_1937)

The relationship of The elected group and the currents of the Algerian national movement between (1927-1937)

بوعبد الله عبد الحفيظ
جامعة سطيف 02 (الجزائر)
bouabdhafid@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/04/14
تاريخ القبول:
2022/05/11

الكلمات المفتاحية:
- ✓ جماعة المنتخبين
- ✓ تيارات
- ✓ الحركة الوطنية
- ✓ التقارب

الملخص:

لقد تبلورت الحركة الوطنية الجزائرية رغم تنوعها الأيديولوجي في رفض القوانين الفرنسية الاستعمارية التي جعلت من الجزائريين أجانب في وطنهم، وقد شهدت الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين ميلاد حركات سياسية وثقافية انخرطت في محاربة ومواجهة هاته السياسة، قدّم كل تيار منها بطريقته مساهمته في القاموس السياسي للوطنية الجزائرية، كما كوّن نخبا حملت آمال وطموحات المجتمع نحو الكرامة والمساواة، وكان أبرزها التيار الاستقلالي والإصلاحي والإدماجي. وكانت فترة الثلاثينات حافلة وغنية بالأحداث والتفاعلات السياسية فرضتها التحولات التي عرفتها فرنسا نفسها، وما ترتب عنها من مواقف مختلفة بين تيارات الحركة الوطنية التي تراوحت بين التقارب والتحالف أحيانا وإلى التنافر والخصومة أحيانا أخرى.

Article info

Received:
14/04/2022
Accepted:
11/05/2022

Key words:
- ✓ Elected group
- ✓ Curents
- ✓ National Movement
- ✓ Convergence

Abstract:

The Algerian patriotism, despite its ideological diversity, crystallized in the rejection of the French colonial laws that made the Algerians foreigners in their homeland, and the period between the two world wars witnessed the birth of political and cultural movements that engaged in fighting and confronting this policy. Create elites who carried the hopes and aspirations of society towards dignity and equality, the most prominent of which was the independence, reform and inclusion movement. The thirties were full of events and political interactions imposed by the transformations that France itself experienced and the resulting different positions between the currents of the national movement that ranged from rapprochement and sometimes alliance to disharmony and antagonism Other times.

علاقة جماعة المنتخبين بتيارات الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1927_1937)

مقدمة

اكتملت الحركة الوطنية من حيث التنوع وتشعبت في اتجاهات مختلفة إيديولوجيا وسياسيا وتمثل توجهات الإدماج والإصلاح والاستقلال الأطراف الأساسية للحركة الوطنية في شكلها الحديث، بحكم أنها تدعو إلى التحديث والتغيير، ويمر ذلك على المدى القصير أو الطويل، عبر القطيعة مع نظام الهيمنة الاستعمارية. تميزت توجهات الإصلاح والإدماج بامتلاكها نظرة مشتركة تتمثل في عدم التفكير، في فترة الثلاثينيات في استقلال ممكن في الآجال القريبة، لكنها تختلف حول شكل التحديث وربما حول نموذج الدولة الوطنية المزمع بناؤها في المستقبل. كان التيار الذي يشمل المنتخبين وهو ذو نزعة ليبرالية يوجه أنظاره نحو فرنسا ونحو الغرب، ويتمسك بالطابع الديمقراطي وبترقية المواطنة اللذين يميزان هذه البلدان. أما جمعية العلماء، ودون رفض للقيم الغربية في مجملها، فقد ظل همها الأساسي هو الحفاظ على الطابع الإسلامي للجزائر، بينما تبنى دعاة الاستقلال كذلك مفاهيم المواطنة والهوية الإسلامية، لكنهم حاولوا من جهتهم صياغتها بشكل متميز يخضع كل شيء للاستقلال الوطني. وانطلاقا من هاته الاختلافات تأتي دراستنا لتسليط الضوء على **طبيعة العلاقة بينهما، وتحديدا بين جماعة المنتخبين ذوو النزعة الليبيرالية وبين أصحاب النزعة الاستقلالية والإصلاحية، وهل كانت التحالفات بينها إستراتجية سياسية بامتلاكها نظرة ورؤية مشتركة؟ أم تخضع لمحددات إيديولوجية مفاهيمية بعيدا عن الظرفية التاريخية التي أفرزت بعض المواقف المشتركة، وتجربة المؤتمر الإسلامي مثالا على ذلك؟**

1. علاقة جماعة المنتخبين بجمعية العلماء

إن دراسة علاقة جماعة المنتخبين بجمعية العلماء يكون في الإطار العام لعلاقة النخبة بالعلماء، **فما هي طبيعة هذه العلاقة؟**

كانت علاقة النخبة الاندماجية بالعلماء متذبذبة وغير مستقرة، وإن غلب عليها الطابع التعاوني، تسير حسب التقلبات السياسية والأزمات والظروف التي تمر بها البلاد، فتارة نجد العلماء يعتبرون النواب ممثلي الأمة والمدافعين عنها، ويستنجدون بهم إذا ضيق عليهم الحصار أو أصدرت الإدارة الفرنسية ضدهم قرارا، وتارة أخرى ينظرون إليهم بسخرية ويعتبرونهم أبناء فرنسا وألعوبة في أيادي المعمرين وذلك لكونهم متأثرين بالمبادئ الفرنسية[1].

وقبل تأسيس جمعية العلماء كان رجال الإصلاح وخاصة المهتمين بالنشاط السياسي كالإمام عبد الحميد بن باديس، يرون في جماعة المنتخبين عونا كبيرا لهم لتحقيق أهدافهم، فهم الذين سيتولون الدفاع عنهم لدى الإدارة الاستعمارية وعن مشاريعهم وأعمالهم، كما أنه عن طريقهم يمكن لهؤلاء نشر دعايتهم وتكوين الرأي العام الإسلامي[2]، ونلاحظ ذلك من خلال علاقة ابن باديس بنواب قسنطينة والدكتور بن جلول على الخصوص.

وبعد تأسيس جمعية العلماء التي نصَّ قانونها الأساسي على عدم التدخل في الأمور السيَّاسية وأمام تعنت الإدارة حيال مطالب الجمعية، وجدت نفسها بأمس الحاجة إلى من يدافع عنها من السيَّاسيِّين النواب، وبصدور قرار ميشال[3] الذي يعرقل نشاط العلماء اهتموا أكثر بطلب إعانة النواب وتقربوا منهم،فوجد هؤلاء في هذا التقرُّب خدمة كبيرة لهم لأنهم سيوسِّعون شعبيتهم ونلمس هذا التقارب والتعاون بالخصوص على مستوى القاعدة، فأغلب الجمعيات المحلية والنوادي وشعب جمعية العلماء كانت تضم عناصر كثيرة من النواب البلديين والماليين وبعض الموظفين[4]، **فلماذا هذا التقارب؟ هل هو تقارب الأفكار أم تكامل المصالح؟**

المعروف أنّ جماعة المنتخبين يختلفون عن العلماء من حيث المبادئ والأفكار، فهم ينطلقون من أفكار فرنسية غربية محضة، حيث إن أغلبهم تعلموا ودرسوا في المدارس الفرنسية وتأثروا بالأوروبيين وطبائعهم، وأعلنوا ولاءهم لدولتهم، وأمتهم فرنسا، وطالبوا بإدماج المجتمع الجزائري في فرنسا نتيجة انبهارهم بقوتها وباستحالة طردها ويعترف أحد النواب وهو محمد كسوس: "**إن جيلنا فرنسي فكريا رغم أنه يحتفظ بدينه ولغته وعاداته، ومع ذلك فإنه لا يتصور أي شكل سياسي غير الشكل الذي تمثله فرنسا**"[5].

أما العلماء فينطلقون من مبادئ إسلامية عربية لكونهم درسوا في البلدان المشرقية فنشأوا متشبعين بالأفكار الدينية، ورغم ذلك فإن المتتبع لأطوار العلاقة بين النخبة والعلماء يجد أنهم كانوا على اتفاق تام تقريبا في هذه الفترة.

وحسب عبد الحميد زوزو فإن إمكانية التقارب بين نجم شمال إفريقيا والعلماء هي في الواقع أكبر حظا مما كانت عليه بين العلماء وجماعة المنتخبين بالنظر إلى توفر عناصر الاتفاق، فالعلماء يعملون من أجل توعية الجماهير دينيا وثقافيا، ويعمل النجميون من جهتهم على نشر التوعية السياسية ومع ذلك لا نعثر على أي شكل من أشكال التنسيق بينهما، بينما نلمس العلاقة الوثقى بين العلماء والنواب وفي نظره أن أكبر عامل في التقارب بينهما يعود إلى "**تلاقي طبائع أعضائهما، وتقارب طبقتيهما الاجتماعية وتشابه ميزانهما الخاص للأشياء وتقديرهم لها ووحدة الوسائل التي يرونها أفضل لبلوغ الأهداف**"[6]. فجمعية العلماء وجماعة المنتخبين كانتا تعبّران عن الرؤى السياسية والأيديولوجية لفئتين اجتماعيتين تنتميان للمجتمع الأصلي. كلا التيارين/التنظيمين تمنى التغيير من دون قطيعة عنيفة مع فرنسا. في هذا الصدد، كان خطاب جمعية العلماء خطاب فئات اجتماعية مدينية متعلمة ومتعلقة بإسلام يعارض الدين الشعبي المتمحور حول تقديس الأولياء والأضرحة.

كانت الأرستقراطية الدينية لقسنطينة، بجاية، الجزائر، تلمسان، ندرومة ...الخ، مهتمة أكثر بالهوية الثقافية من اهتمامها واشتغالها بالسياسة التي تتطلب الكثير من التضحيات. كان الأهم بالنسبة لهم هو إنقاذ الإسلام واللغة العربية.

بينما يرى آخرون أن هذا الطرح غير صحيح، وغير دقيق فطبائع العلماء وتكوينهم الشخصي كان عربيا أصيلا، في حين أن طبائع، وأخلاق جماعة المنتخبين كانت شبيهة إلى حد ما بطبائع وأخلاق الفرنسيين، وما التقارب الذي حدث بينهما إلا تكتيكا ظاهريا اقتضته ظروف الكفاح ضد العدو المشترك[7].

والمتتبع للعلاقة بينهما يجد أنها لم تكن تخلو من الصراع خاصة في بدايتها، حيث طالب بعض النواب من الشعب نبذ فكرة القومية الإسلامية، والابتعاد عنها لأنها فكرة وهابية، فقد جاء في إحدى جرائدهم "Lapresse libre": "**أن ابن باديس يشكل خطرا وأن العلماء رجعيون يفتخرون بالجامعات القديمة، ويعلمون التعصب والافتخار بالنسب**"[8]، بل نجد منهم من طالب بحلها لأنها انحرفت عن مهمتها الأصلية، وأنها سبب التوترات والفتن، وكان الخلاف حول عدة مسائل كالوطنية والجامعة الإسلامية والجنسية الفرنسية، فبينما كان زعماء النخبة من النواب ينادون بالإدماج والاتحاد مع فرنسا، ومنح الجنسية للجزائريين، فإن العلماء كانوا على النقيض بمواقفهم الرافضة للإدماج، ومحاولة إلحاق الجزائر بفرنسا تحت شعار: "**الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا**" ولذلك لم يترددوا في مهاجمة جماعة النخبة ووصفهم بالجبن وعدم قدرتهم على تأسيس حزب سياسي له برنامج خاص، ومبدأ لا تحيد عنه مثل الأحزاب الفرنسية[9].

لكن هذا التنافر لم يدم طويلا حيث تحسنت العلاقة بينهما فيما بعد، فقد أيدت الجمعية معظم النقاط التي جاء بها مشروع فيوليت الذي اعتبره النواب منقذ الجزائر من محنتها، كما أيدت الجمعية ابن جلول في الانتخابات البلدية لسنة 1934 الشيء الذي ساعده على الفوز، بل وقاد العلماء الحملات الانتخابية للنواب في تلك السنة، ففي الجنوب كان محمد خير الدين مسؤول الحملة الانتخابية للدكتور سعدان[10] .

وفي المقابل دافع النواب من النخبة عن الجمعية ومطالبها، ووقفوا معها في محنتها عندما منع العقبى من التدريس، فقامت مظاهرات كبيرة في شوارع العاصمة منددة بهذا القرار، كما ازداد هذا التقارب بمناسبة أحداث قسنطينة [11]، حيث ظهر ابن جلول إلى جانب ابن باديس لمعالجة الموقف وتوطدت العلاقة أكثر بمناسبة المؤتمر الإسلامي حين اختار ابن باديس الدكتور ابن جلول رئيسا للمؤتمر، **فهل بلغت ثقة ابن باديس فيه إلى هذه الدرجة؟** إن ما يجعلنا نطرح هذا التساؤل هي مواقف ابن جلول من العلماء فيما بعد، ويعلل ابن باديس مشاركته في وفد المؤتمر إلى باريس بقوله: "**حتى لا يقع انحراف في المطالب، ولا تساهل في القضية الجوهرية الشخصية القومية لأنه يعلم أن في النواب بعض المتساهلين في هذه المسألة**"[12].

فمن بين الأزمات التي واجهها العلماء القرار الذي اتخذه الدكتور بن جلول فجأة، فبمجرد ما وصل الوفد الخاص للمؤتمر الإسلامي الجزائري إلى مدينة مارسيليا في طريقه إلى باريس اتهم الدكتور بن جلول في بيان مكتوب سلمه للجريدة اليومية "**مارساي ماتان MARSEILLE MATIN**" بتاريخ 1936/08/12 جمعية العلماء المسلمين والشيخ العقبي بصفة خاصة بمسئوليتهم المباشرة عن مقتل الشيخ كحول·وللقارئ أن يتصور بنفسه نوع الشعور السياسي الذي أثاره تصريح الدكتور بن جلول هذا.

وأصيب الشيخ ابن باديس على ما يبدو بذهول واستياء شديدين بسبب ما وصفه بأنه: "**طعنة في الظهر في لحظة حرجة مثل هذه اللحظة**"[13]، حتى إنه لم يجد ما يقوله للدكتور بن جلول سوى أن يطلب إليه قائلا: "**أنكر تصريحك للحال، وسوف ننسى الحدث برمته**"[14]، وارتاح الشيخ ابن باديس حين وعد دكتور بن جلول والوفد في باريس أن يدحض التصريح عندما يعود إلى الجزائر. ولكن هذا الوعد لم ينفذ أبدا رغم الواسطة التي قام بها بلحاج، وطهرات اللذان كانا على ما يبدو على اتفاق مع دكتور بن جلول. ويبدو أن الشيخ ابن باديس كان يعتبر تصريح دكتور بن جلول أشد خطورة على مشروع بلوم فيولت، ولعل السبب الذي حمل الدكتور بن جلول على اقتراف مثل هذا الغدر السياسي إن صح التعبير هو شعبية زميله الأصغر فرحات عباس، التي جعلت تنمو بسرعة. ذلك أن الدكتور بن جلول، حين وجد أنه أصبح ذلك الرجل والسياسي المنسي، اعتقد بسذاجة أن في مقدوره أن يقوم الوضع السياسي لصالحه لو أنه استطاع فقط أن يوجه ضربة سياسية قاضية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيسها الذي اعتبره، ولم يكن مخطئا تماما المسؤول الرئيسي عن ارتفاع شعبية فرحات عباس.

ورغم هذا التوتر في العلاقات إلا أنها بقيت مميزة فبمناسبة الاحتفالات الفرنسية باحتلال قسنطينة سنة 1937، ذكرت التقارير السِّرية لمصلحة الاستعلامات لمدينة قسنطينة عن وجود وفاق بين الطرفين رغم معارضة بعض أفراد النخبة[15].

وقد تجلى هذا الوفاق بمناسبة انتخابات أكتوبر1938 حيث دعا العلماء إلى تأييد النواب ومنحوهم أصواتهم، ولولاهم لما فاز النواب، لكن شكوك كل طرف نحو الأخر بقيت مستمرة، حيث يذكر ابن العقون: "**هكذا شاءت ورقة الانتخابات المقدسة أن يعقد أبطال – لانطانط – محالفة مع أبطال جمعية العلماء ...وأن يحل الوداد محل الجفاء ظاهرا، على أن كلا الطرفين يدعي الانخداع بالآخر، وذلك نظير انخداع أحد النشالين بالآخر، في حين أن كل منهما تسرب بيده إلى انتشال حافظة نقود زميله**"[16].

ومن الشخصيات البارزة من جماعة المنتخبين والتي كانت لها علاقات مميزة مع الحركة الإصلاحية وزعماؤها، نجد فرحات عباس فرغم تكوينه الفرنسي إلا أنه لم ينقطع نهائيا عن ماضيه الحضاري، حيث كتب سنة 1926: "**إن الإسلام سيبقى معتمدنا الأكيد، وهو الاعتقاد الذي يعطي معنى لحياتنا ولوطننا الروحي، وإن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية هو بلادنا الحقيقية**"[17]، ورغم مقاله المشهور " **فرنسا هي أنا**" إلا أنه كان على اتصال دائم بالحركة الإصلاحية قبل تأسيس جمعية العلماء وبعدها، متأثرا بأفكارها خاصة دعوتها إلى العلم، وتقبل التقنيات الجديدة التي أنتجتها الحضارة الغربية، ومحاربتها للطرقية والتخلف، وما قامت به من فتح المدارس، وبناء المساجد وإنشاء النوادي والجمعيات الثقافية والرياضية[18].

يذكر عمار نارون في الشهادة التي قدمها أن فرحات عباس تحدث إلى وزير الداخلية الفرنسي "**رينيه**" عند زيارته سطيف سنة 1935، وذكر له المجهود الذي تقوم به جمعية العلماء وعلى رأسها "**عبد الحميد بن باديس**" إذ شبه هذا الأخير بـ "**إيرازم**" **Irazem** [19] في دفاعه عن اللغة العربية وبـ "**لوثر Luther**" في دفاعه

عن الدين الإسلامي ضد الطرقية وضد الإدارة الاستعمارية التي تخلت عن واجباتها في تعليم الجماهير، وهذا في نظر فرحات عباس سيؤدي إلى انتشار سريع للغة العربية التي ستملأ الفراغ الذي تركته الثقافة الفرنسية، وذكر فرحات عباس الوزير الفرنسي بالشعار الذي رفعته الجمعية: "**إن الجزائر ليست فرنسا ولم تكن في يوم فرنسا، ولا يمكنها أن تكون فرنسا**"[20]. ما يفهم من كلام فرحات عباس أنه أراد تحذير الوزير الفرنسي من تطور مشروع المجتمع خارج الإطار السياسي والثقافي الفرنسي الذي كان فرحات عباس يحرص عليه كثيرا[21].

وقد يبدو أن تصريحه الذي نفى فيه وجود الشخصية والأمة الجزائرية، يجعله أبعد ما يكون عن جمعية العلماء، لكن في الحقيقة نجد هذا التصريح بالذات وما صحبه من رد رئيس الجمعية هو الذي وطد العلاقة بينهما، فمن جملة ما قاله ابن باديس في كلمة صريحة: "**وإنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم الهمة العالية وشرف النفس، وطهارة الضمير الأستاذ فرحات عباس**" [22].

وهي شهادة لها وزنها، كما كان فرحات عباس يعتبر كلا من ابن باديس والإبراهيمي آباء روحيين له، فكثيرا ما كان فرحات عباس يعود إلى الإبراهيمي الذي سجن معه بعد حوادث 8 ماي واستقر معه بالقاهرة عند اندلاع الثورة في اتخاذ مواقفه السياسية، ولم يخف فرحات عباس إعجابه بابن باديس حين وصفه: "**كان مكسوًّا هبة وجلالا تستنيره هالة من العظمة والوقار**"[23].

وفي مكان آخر يبرز فرحات عباس دور الجمعية، ورجالاتها بقوله: "...**حملت هذه الجمعية على عاتقها عبء نهضة الإسلام، ومحاربة أصحاب الزوايا والطرق، المتواطئين مع الاستعماري وتكوين إطارات اجتماعية ومثقفين ثقافة عربية... وهدفها الرجوع إلى العروبة والإسلام**" [24].

ويعتقد أنه يشترك معها في هذه النظرة، فقد كان شديد النقد إلى إسلام الطرقية والمشعوذين ويرى أنه عائق كبير أمام الإسلام الصحيح، ولذلك فإن التجديد الذي جاءت به جمعية العلماء هو الذي يؤدي إلى إعطاء الدين الإسلامي مفهومه الحقيقي، وهو ما جعل البعض يرى أن العلماء قد جعلوا الزعيمين فرحات عباس وابن جلول يعتنقان مبدأ العروبة والإسلام[25]، حيث تبنىَّ بعضهم بعض مطالبها، وتحالف معها ضد المرابطين، والنواب الرجعيين من خصوم الجمعية، ولعل هذا الاحتكاك بالعلماء هو الذي أخرج جماعة النواب من إشكالية الفهم للاستعمار وجعلها تتخلى تدريجيا عن فكرة الاندماج.

ولعل جماعة المنتخبين قد أدركوا أن كل حركة بعيدة عن الشعب مآلها الفشل، وأن أقرب طريق إلى الشعب هو جمعية العلماء، ولذلك تقربوا منها، وأحيانا بدون قناعة، بالمقابل نجد أن العلماء أحسُّوا منهم القابلية للتعاون معهم وروح الخدمة المتبادلة، فمن الملاحظ أنه كانوا قادرين أن يدافعوا بأقلامهم واتصالاتهم وعلاقاتهم مع الإدارة والجمعيات والشخصيات الفرنسية عن الجمعية ومشاريعها[26].

وكانت فترة الحرب العالمية الثانية، وما بعدها هي الفترة التي توطَّدت فيها علاقة النواب بالعلماء أكثر، لقد اقتنع هؤلاء ومنهم فرحات عباس من خلال مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية أن الفرنسيين لا يريدون تحقيق المساواة التي كان يدعون إليها، وبعد نزول الحلفاء حاول فرحات عباس مثلا أن يستفيد من ذلك، بأن

طلب منهم الضغط على الحكومة الفرنسية لإعطاء الجزائريين حقهم في تقرير المصير فاتصل بعدة أطراف جزائرية، وحصل على تأييد العلماء رغم أن رئيسها الإبراهيمي كان متخوفا من سياسة فرحات عباس المبنية على الاتحاد الفيدرالي مع فرنسا[27]، حيث شارك الشيخ خير الدين، والعربي التبسي في المشاورات التي قام بها فرحات عباس مع الشخصيات السياسية والتي تمخضت عنها المذكرة التي أرسلها إلى الحلفاء .

كما تجلى تأييد العلماء جماعة المنتخبين في تحمسهم لتأسيس حركة أحباب البيان والحرية لكونها تحافظ على الشخصية الوطنية في قانونها الأساسي، ولأنها جمعت بين أقطاب الحركة السِّياسية الجزائرية، كما أن تجربة 8 ماي 1945 وسجن فرحات عباس والإبراهيمي قد وطدت العلاقة بينهما، وهو ما تجلى في الدور الذي لعبه العلماء في دعم فرحات عباس وحزبه الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في مختلف الاستحقاقات الانتخابية، ولعل استجابة فرحات عباس للكثير من نصائح العلماء جعله أقل تعرضا لانتقاداتها.

من خلال دراستنا لهذه العلاقة نجد أنه غلب عليها التفاهم والتعاون، **فكيف نفسر ذلك رغم أن كليهما يحمل مشروعا يختلف عن الآخر؟ إن لم يكن متناقضا؟** فإذا كان مشروع العلماء يقوم على المحافظة على الشخصية الوطنية، ويحارب الإدماج، والتجنس فإن جماعه النواب يرتكز مشروعهم على فكرة الإدماج، وفي المقابل **كيف يتحالف دعاة الإدماج مع العلماء وهم يعتبرون الأحوال الشخصية أكبر عائق للحصول على المواطنة الفرنسية؟** فمسألة التقارب إذا ليست حتما نتيجة الالتقاء في المبادئ نفسها وإنما نتيجة تكامل المصالح كذلك.

إن جمعية العلماء كانت بحاجة إلى من يدافع عنها سياسيا بحكم صراعها مع الإدارة الاستعمارية، والنواب هم أقدر من يقوم بذلك بحكم علاقتهم بالأوساط الفرنسية، فاتجاهها نحوهم طبيعي، ويخدم مصلحتها حتى تؤدي مهمتها، بينما لم يكن من مصلحتها على الأقل إستراتيجيا التحالف مع التيار الاستقلالي بحكم مواقفه وأفكاره المعادية لفرنسا والتي جعلته في صراع دائم مع الإدارة الاستعمارية.

في المقابل كانت جماعة المنتخبين يتقربون من العلماء لتوسيع شعبيتهم نظرا لمكانة العلماء ونفوذهم في الطبقات الشعبية، وهذا يعطيهم بعض المصداقية باعتبارهم يمثلون النخبة فقط وفي الوقت نفسه يوفر لهم دعما شعبيا للفوز بالانتخابات، والنتيجة هي أن هؤلاء حاولوا كسب العلماء وحرصوا على ربط علاقة متينة بهم حتى في أشد الظروف سواء عن اقتناع أو لتكتيك سياسي، وكلا الطرفين كان مقتنعا أن الآخر لا يشكل خطرا عليه، على العكس من ذلك فهو يحقق فوائد كثيرة، وبشكل أو بآخر فإن احتكاك بعض الشخصيات والمثقفين من جماعة النواب بالعلماء كان له تأثير كبير على مواقفهم وأفكارهم.

2. علاقة جماعة المنتخبين بالاتجاه الاستقلالي

تأسس نجم شمال إفريقيا[28] في فرنسا وانتشر في الأوساط العمالية هناك، وقدم مطالب ثورية تحررية، تمثلت أساسا في استقلال الجزائر وبناء دولة جزائرية منفصلة عن فرنسا، ولكن تغلغله في الأوساط الشعبية كان محدودا بسبب وجوده في الخارج، وفي الوقت الذي كان برنامج النخبة من خلال فيدرالية النواب المسلمين

الجزائريين لسنة 1927 ينادي بالمساواة في الحقوق والاندماج والجنسية الفرنسية، فإن زعماء النجم كانوا على النقيض من ذلك يرون أن العنف الثوري هو الكفيل للحصول على الاستقلال، وهذه هي نقطة الخلاف الأساسية مع باقي القوي السياسية .

في تصور جماعة المنتخبين أن سياسة المساواة، والإدماج مع تقدم وعي الجماهير الشعبية في الميدان الاجتماعي والاقتصادي سيؤدي إلى استقلال الجزائر، وهي ليست دعوة للإدماج من أجل طمس شيء اسمه الجزائر العربية المسلمة، وإنما على أساس أن تكون تلك خطوة ومرحلة نحو تحقيق الاستقلال الوطني ولو بعد فترة طويلة[29]، بينما الوطنيون ينطلقون من فكرة أن أقرب طريق لحل المشكلة الجزائرية هو الكفاح السياسي والعنف الثوري، فكليهما يختلف عن الآخر من حيث الأهداف والطرق وخاصة حول المسألة الوطنية[30].

ويتعدى الاختلاف بين النخبة من جماعة المنتخبين عموما، ودعاة الاستقلال إلى الجانب الثقافي، فبينما نجد النخبة خريجة المدارس والجامعات الفرنسية، فإن قادة النجم على مستوى بسيط من العلم ولم تتجاوز مستوياتهم الثقافية الشهادة الابتدائية[31]، وإذا كان عناصر النخبة ينتمون إلى الطبقة المتوسطة عموما فإن أعضاء النجم وقادته كانوا من أوساط اجتماعية متواضعة فمعظمهم كانوا عمالا مغتربين في فرنسا، ويضاف إلى الاختلاف في أصولهم وتكوينهم، الاختلاف في مزاجهم وتركيبة شخصيتهم فإذا كان فرحات عباس يمتاز بالمرونة السياسية فإن مصالي الحاج كان يلعب دور العظيم الملهم المسكون بالكبرياء والزعامة[32].

يذكر فرحات عباس أن أول لقاء له مع مصالي كان سنة 1930عندما كان ممثلا لجمعية الطلبة المسلمين، وأثناء عودته من بروكسل التقى بمصالي في شارع السيد لوبرانس:Monsieur le Prince بباريس في مقهى يديره أحد أصدقاء مصالي، ودار بينهما نقاش سياسي حول مستقبل الجزائر، ومنذ ذلك الحين اشترك في جريدة الأمة إلى سنة 1936[33].

تميزت علاقة جماعة المنتخبين بدعاة الاستقلال عموما بالصراع والتنافر لاختلاف تصوراتهم وطروحاتهم حول مصير المجتمع، والعلاقة مع الإدارة الاستعمارية، كان دعاة الاستقلال يلقون باللائمة على النخبة لأن هدفها الحصول على المواطنة الفرنسية، وانتقدوا مواقفها وسياستها الموالية لفرنسا، فعندما أعلنت فدرالية النواب عن موافقتها على مشروع بلوم فيوليت، كتبت جريدة الأمة الناطقة باسم النجم: "**تقول للشعب بأن سياسة الإدماج وترك القانون الشخصي يشكلان خطرا كبيرا، إذ في حالة وقوعهما نضيع جنسيتنا وكرامتنا، وكل أمل في استرجاع حريتنا، وتكون النتيجة حينذاك الانتحار، نحن نندد بهذه السياسة، ونقف بكل قوانا ضدها ونهيب بكل الشعب الجزائري المسلم للقيام ضدها**" [34].

ينتقد دعاة الاستقلال الخط السياسي للنخبة من جماعة المنتخبين، ومواقفها المتخاذلة فهم في نظرهم: "**مرتدون ومرقة ومتجنسون وحاملون لأوسمة الشرف، وأن سياستهم هي سياسة صالونات بدون برنامج، وبغير هدف، ومجردة من الروح الثورية ويصل الانتقاد إلى درجة وصفهم بالخونة**"[35].

وحسب زوزو أنه رغم الصراع الذي كان بين النجم، والعلماء وبين النجم وجماعة المنتخبين إلا أن هذه الأخيرة هي التي تلقت النصيب الأوفر من هجمات النجم، ويعزو ذلك إلى اختلاف موقف النجم من كلا الهيئتين، فكتلة النواب في تقدير حركة النجم حركة انعزالية منفصلة عن الجماهير والدخول معها في صراع قد لا يثير ضده أي شعور بالاستنكار من قبل الجماهير، لأنّها تضم نخبة معينة تتمتع بوضعية اجتماعية حسنة نسبيا، بينما ترى جماعة النواب أنّ النجم هو حركة خيالية ليس إلاّ [36].

ويمكن دراسة مظاهر هذه العلاقة من خلال تجربة المؤتمر الإسلامي، فقد التقى أعضاء الوفد بقادة النجم، وكانت النقطة التي أثارت الجدل بينهم هي المتعلقة بدمج الجزائر في فرنسا، التي عارضها مصالي بينما اعتبرها النواب ضرورية لتحرير الجزائر وحسب سعد الله فإن ابن باديس اقتنع بكلام النجمين، واعترف أنه كان على خطإ[37].

كانت مطالب المؤتمر معارضة لأفكار نجم شمال إفريقيا ولذلك رفضها خاصة فيما يتعلق بربط الجزائر بفرنسا، بينما كانت جماعة النواب تعتبر تلك المطالب في صالح الجزائريين على أساس أنها مجرد حد أدنى لتحقيق مطالب أخرى، بينما يرى النجم أن ربط الجزائر بفرنسا يؤدي إلى ضياع الحركة الوطنية الجزائرية[38]، وهو ما دفع زعيمه مصالي المجيء إلى الجزائر ليقلل من مفعول المؤتمر، وكان له ذلك بخطابه المشهور يوم 2 أوت 1936.

ويتهم النجم النواب وجماعة النخبة بأنهم يسعون وراء مشروع بلوم- فيوليت لتحقيق مصالحهم الشخصية، والحصول على المواطنة الفرنسية[39]، ولذلك يتهم جماعة النواب، وحتى العلماء النجم بأنه كان يخشى المنافسة السياسية، وتقلص نفوذه وسيطرته نتيجة الإجماع الذي حظي به المؤتمر الإسلامي، وبالدرجة الأولى لدور العلماء فيه.

وقد لمّح لذلك بن العقون بالقول: "**وبالمقابل فإن حزب الشعب كان يرى أن جمعية العلماء قد سلكت غير طريق الإسلام الصحيح لاسيما بعد انجرافها في مهوى السياسة الاندماجية وتأييدها لجمعية النواب، وابتعادها عن مهمتها الأساسية وهي نشر الإسلام بعيدا عن التحزبات**"[40]، وقد اتهم العلماء باسم المؤتمر في مقال بجريدة "**الدفاع**" مصالي الحاج بالديماغوجية والدروشة السياسية وأتباعه بمستعيري الوطنية الاستفزازيين ووصفتهم بأنهم انتهازيون جهلاء[41]، ومن هنا يظهر أن معارضة النواب وحتى العلماء للنجم لم تكن لأرائه وأهدافه ومطالبته بالاستقلال التي يعتقدون أنها خيالية وبعيدة التحقيق، لكن لمنهجه القائم على الثورة وعدم الشرعية التي في نظرهم تؤدي إلى الفوضى، ولأسلوبه في معاملة خصومه[42].

لذلك عبّر أحد رموز جماعة المنتخبين وهو فرحات عباس عن رفضه لأساليب النجم بقوله: " **إن الدولة والأمة والمجتمع والقوانين لا ترتجل ولا تنقل من الجار، إنّها تخرج من عمق الشعب، كما يخرج الطفل من بطن أمّه الثقافة، والأرض، وطبيعة الإنسان هي التي تصنع مؤسسات دولة**"[43].

إن جوهر الخلاف بين جماعة المنتخبين ودعاة الاستقلال، هو اختلاف تصورهما للمعضلة الجزائرية وأسبابها وحول مستقبل الجزائر، فبينما يرى جماعة النخبة بأن أسباب المعضلة تكمن في النواحي الاجتماعية والاقتصادية أولا، يرى دعاة الاستقلال في العملية الاستعمارية ذاتها السبب الرئيسي، ويرون الحل الصحيح للمشكل الجزائري يكمن في السيادة الجزائرية الكاملة[44]، ومن الأسباب التي يطرحها هؤلاء لهذا الخلاف: " **كان مصالي الحاج يرى الجزائر عبر الأجواء الباريسية، والقوانين التي تحمي الحريات في فرنسا، وأنا كنت أراها ضمن إطار الدوّار الذي ولدت فيه**"[45].

ويعتقد البعض أن شخصية مصالي القائمة على الزعامة أحد أسباب عدم تقارب تيارات الحركة الوطنية، وسبب أزمة حزب الشعب فيما بعد: "**إنّ مصالي الحاج من أصل وضيع مثلنا جميعا، لا ثقافة له ولا همة عالية، هزته نشوة العظمة، والتقديس ورأى في نفسه العظمة**"[46].

رغم هذه الخلافات ورغم الهجمات التي كان يتعرّض جماعة المنتخبين خاصة فرحات عباس من مناضلي حزب الشعب والصورة السيئة التي رسموها عنه، يؤكد أن علاقته بمصالي الحاج كانت طيبة ويحترمه كثيرا لأنّ هدفه كان نبيلا [47].

وحتى وإن كان التنافر والتباعد والتناقض في وجهات النظر هي السمة الغالبة والمحددة لطبيعة العلاقة بينهما، إلاّ أنّ التقارب فرضته في بعض الأحيان الظروف التي مرت بها الحركة الوطنية فأثناء إلقاء القبض على مصالي وأنصاره في أوت 1937 والحكم عليه بالسجن لمدة سنتين، استنكر النواب وعلى رأسهم فرحات عباس ذلك واعتبره تعديا على حقوق الإنسان وحرية الرأي[48]، كما أدت ظروف الحرب العالمية الثانية إلى تقارب أكثر حيث كان اللقاء التاريخي بين مصالي الحاج وفرحات عباس بمنزل هذا الأخير بسطيف في مارس 1943، ثم زيارته له بقصر الشلالة حيث أيد مصالي الحاج مبادرة فرحات عباس حول البيان الجزائري[49].

وكان تأسيس "**حركة أحباب البيان والحرية**" في مارس 1944 قمة التنسيق السياسي بين الطرفين، حيث شارك أنصار حزب الشعب في الحركة، وحسب ابن العقون فإنّ هؤلاء رأوها فرصة ثمينة لممارسة نشاطهم السياسي، والخروج من السرّية المفروضة عليهم[50]، لكن حوادث ماي وما انجرَّ عنها من اتهامات متبادلة ستعيد هذه العلاقات إلى نقطة الصفر.

خاتمة

إن التفرقة والتباعد كانت السمة البارزة في علاقة تيارات الحركة فيما بينها وحتى تبنى وجهات نظر متقاربة في بعض الفترات كان ظرفيا فقط أملته حاجة الأطراف إلى بعضها البعض.

إن الاختلافات السياسية والأيديولوجية بين هذه التيارات الثلاث، يعود في الأساس إلى المكوّن السوسيولوجي لكل واحد منها. في حين استمد حزب الشعب الجزائري حركة انتصار الحريات الديمقراطية (PPA–MTLD) طاقته من الفئات الاجتماعية الفقيرة، الرافضة لكل تسوية مع السلطات الاستعمارية، كانت جمعية العلماء التي كانت ضمت في صفوفها ساكني المدينة المتعلمين بالعربية، كانت حريصة على حماية

الإسلام واللغة العربية المهددين من طرف الهيمنة الفرنسية. أما فيدرالية المنتخبين، التي صارت فيما بعد الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA)، فكانت تضم النخبة الاجتماعية للأهالي، التي كان طموحها للتحرر يمر عبر الانتخاب ويتفادى المواجهة العنيفة مع فرنسا.

بينت الظروف أن العلاقة بين العلماء والنواب فرضتها المصلحة الضيقة وأن علاقتهما كانت هشة، انهارت في بدايتها مع أول أزمة فكلاهما كان ينتظر دعما معنويا من الآخر لتحقيق مصالح سياسية ضيقة في ظل صعود مكانة نجم شمال إفريقيا بين الجماهير الشعبية.

تميزت علاقة جماعة المنتخبين بدعاة الاستقلال عموما بالصراع والتنافر، لاختلاف تصوراتهم وطروحاتهما، فقد اعتبرت جماعة المنتخبين الاتجاه الثوري حركة خيالية، وهذا ما جعل الصراع وأحيانا الصدام والتهم المتبادلة بينهما، وهذا في حقيقته راجع إلى الاختلاف الكبير في مضمون الخطاب والثقافة السياسية لكلا الطرفين فالاتجاه الثوري يتبنى خطابا شعبيا ثوريا، بينما المنتخبون تبنوا خطابا إصلاحيا اعتداليا ونخبويا.

الهوامش:

1 علي حشلاف، (1994)، **المواقف السياسية لجمعية العلماء من خلال صفحتها 1931-1939**، معهد الإعلام والاتصال، الجزائر، ص 187.

2 محمد خير الدين، بدون تاريخ، **مذكرات**، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص86.

3 **منشور ميشال 1934**: نسبة إلى الكاتب العام لولاية الجزائر ويقضي المنشور مراقبة العلماء، والتضييق عليهم ومنعهم من القيام بنشاطهم في المساجد، ومهمتهم الدينية، أنظر: أبو القاسم سعدالله، (1986)، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص21.

4 محمد خير الدين، المصدر السابق، ص 92.

5 أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص. 59.

6 عبد الحميد زوزو، (1985)، **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص136.

7 عبد الكريم بوصفصاف، (1986)، **جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 -1945**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ص 274.

8 أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 64.

9 المرجع نفسه، ص 63.

3 محمد خير الدين، المصدر السابق، ص .286

11 قيل إن جنديا يهوديا جرح شعور المصلين عندما دخل الجامع الأخضر أثناء صلاة الجمعة 3 أوت 1934، وتلا ذلك اضطرابات ومشادات، وكانت النتيجة قتل 23 يهودي وأربعة جزائريين، للإطلاع على أسباب الأحداث ونتائجها أنظر:

Ageron Charles-Robert, (1973), **Une émeute anti-juive à Constantine (août 1934)**. In: Revue del'Occident musulman et de la Méditerranée, n°13-14, p25.

12 رابح تركي، (1981)، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 416.

13 شارل اندريه جوليان، (1976)، **إفريقيا الشمالية**، الدار التونسية للنشر، ص 72.

14 آثار ابن باديس،(1997)، إعداد وتصنيف عمار طالبي، ج1، مج2، الشركة الجزائرية، ط3، ص347.

15 عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 280.

16 بن العقون عبد الرحمان بن براهيم، (1984) ، **الكفاح القومي والسّياسي من خلال مُذكرات مُعاصر**، ج2، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 125.

17 Benjamin Stora, Zakya Daoud, (1995), **Ferhat Abbas une autre Algérie**, éd. Casbah, p 39 .

18 Benjamin Stora, Zakya Daoud, **Ferhat Abbas une autre** Algérie, p37.

19 **إيرازم (1466- 1536):** كاتب هولندي إنسانوي النزهة ومثقف، يمثل تيار النخبة خلال عصر النهضة في شمال أوروبا اشتهر بنقده للفلاسفة واستنكار عجزهم عند التأثير في الحياة العامة، أنظر: العمري طاهر: (2004)، **النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع1900- 1940**، رسالة ماجيستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية: جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص 442 .

20 Naroun, Amar, (11961), **Ferhat Abbas, Ou les Chemins de Souveraineté**, France, édition Donoel, P25.

21 العمري طاهر: المرجع السابق، ص 242.

22 الميلي محمد، (2002)، "**فرحات عباس بين باريس والقاهرة**"، مجلة الحدث العربي والدولي، العدد 24، ص44.

23 عباس فرحات، دون تاريخ، **ليل الاستعمار**، المغرب، مطبعة فوضالة، ص 157.

24 المصدر نفسه، ص150.

25 عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص284؛ وأيضا أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص67؛

نفس الطرح يذهب إليه:

Luc de la Barre, (1948), **Ferhat Abbas et le Mouvement Revendicatif Algérien**, École Nationale d'Administration, Alger, p37.

26 البصائر، 21 فيفري 1936، عدد 8، ص7.

27 شايب عزوانتي قدادرة، (1991)، **الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الحرب العالمية الثانية 1939 -1945**، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، ص163.

28 مكّن حزب الشعب الجزائري-حركة انتصار الحريات الديمقراطية (PPA-MTLD) من أن يكون التيار الأكثر استقطابا للجماهير الشعبية سواء الريفية أو المدينية. استطاع هذا التنظيم الذي ولد في حضن الهجرة العمالية في فرنسا، التقاط آمال غالبية الجزائريين عبر إعلانه رفض أي شكل من أشكال التسوية مع السلطات الاستعمارية بخصوص مسألة الاستقلال. وبالاعتماد على شعبيته الواسعة، تمكّن هذا التنظيم من تطوير الأيديولوجية الوحيدة التي كان بمقدورها فعليا مواجهة النظام الكولونيالي وهي الإيديولوجية الثورية. إن هذا هو ما يفسر تحديدا تلك الهيمنة التي تمتّع بها هذا التيار وهذه الإيديولوجية داخل الحركة الوطنية، حيث نجح في توجيهها صوب الفعل المسلّح. بدأ نجم شمال إفريقيا كجمعية تعمل للدفاع عن مصالح مهاجري المغرب العربي في سنة 1924 ولم يظهر رسميا إلا في 1926 ترأسه في البداية الحاج علي عبد القادر، كما ترأسه شرفيا الأمير خالد وابتداء من جوان 1926 ترأسه مصالي الحاج الذي طبعه بشخصيته القوية تعرض إلى الحل أكثر من مرة ليعود بأسماء جديدة (نجم شمال إفريقيا المجيد، الإتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا، حزب الشعب وأخيرا حركة الانتصار لكن بنفس المبادئ والأهداف أنظر: أحمد الخطيب، (1986)، **حزب الشعب الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

29 يحيى بوعزيز، (1987)، **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه 1912- 1948**، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 55.

30 Omar, Hachi, (juin 1980) ،université d'Alger le Problème de l'Union des Mouvement Nationaux Algériens a Travers la Presse (1950-1954), mémoire de diplôme d'études approfondies, , , p.14

31 Kaddache Mahfoud ، (1980)، Histoire du Nationalisme Algérien (1919-1951),Algerie, Société nationale d'édition et de diffusion Tome 1, p.388

32 Luc de la Bare, Ferhat Abbas et le mouvement, op, cit, p38.

33 Stora, Daoud, Ferhat Abbas une Autre Algérie op, cit, p.82.

34 زوزو عبد الحميد، (1968)، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830- 1900**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص138.

35 المرجع نفسه، ص 138.

36 المرجع نفسه، ص 139.

37 أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 136.

38 بن العقون عبد الرحمان بن براهيم، المصدر السابق، ص 186.

39 نعتقد أنه بالنسبة لفرحات عباس على الأقل لم يسبق، وأن طلب الجنسية رغم توفر الشروط التي جاءت في إصلاحات1919.

40 بن العقون عبد الرحمان بن براهيم، المصدر السابق، ص182.

41 أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ج3، ص 183.

42 Omar, Hachi, le Problème de l'Union du Mouvement National, Algérien a travers la presse (1950-1954), p.27

43 Abbas Ferhat, (1984) ,**Autopsie d'Une Guerre**, l'Aurore, France, édition Garnier, p22.

44 زوزو عبد الحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 140.

45 Abbas Ferhat, op, cit, p 59.

46 عباس فرحات، المصدر السابق، ص261.

47 Abbas, Autopsie d'Une Guerre, p.60

48 Abbas Ferhat, (septembre 1937), "**Atteinte A la Souveraineté de la France**", L'Entente Franco-Musulmane, n°36,02 .

49 عباس فرحات، المصدر السابق، ص 183.

50 بن العقون عبد الرحمان بن براهيم، المصدر السابق، ص 282.